قاعدة سيمونستاون البحرية في جنوب افريقيا: تهيئة لدور رئيسي ...

مشروع حلف جنوب الاطلسي

الذراع الضارب في افريقيا للغرب الامبريالي والدرع الغربي لجنوب افريقيا العنصرية

... حلف شمال الاطلسي يمد ذراعه المسلحة عبر اوروبا الغربية ، الى داخل افريقيا . واذا كان هذا الامر لم يعلن كقرار رسمي ، الا ان النشاط في هذا الاتجاه ، قائم على قدم وساق ، خاصة من بعد الانتفاضتين في اقليم شابا الزائيري . وليس سرا بالتأكيد ، القول بان العالم الغربي الرأسمالي شديد القلق مما يراه « تغلغلا » سوفياتيا في افريقيا الجنوبية عبر موزامبيق وانغولا ، واحتمال وصوله الى ناميبيا وزيمبابوي . وهذا ما دفع هذه القوى الغربية الى اتخاذ خطوات اولية باتجاه تشكيل حلف جنوب الاطلسي ، ليكون جناحها العسكري الآخر مع حلف شمال الاطلسي .

ان وصول انظمة حكم وطنية وتقدمية في انغولا وموزامبيق ، وتصاعد حروب التحرير الوطنية في زيمبابوي وناميبيا ، قد ادخلت منطقة افريقيا الجنوبية مرحلة لا بد وان تشهد تغييرات هامة .

كذلك فانها اثرت تأثيرا كبيرا على العوامل الجغرافية التي تحدد السيطرة الغربية في تلك المنطقة ، وعلى ميزان القوى في جنوبي الاطلسي . وهكذا اصبحت المنطقة الجنوبية في القارة الافريقية وجنوبي الاطلسي ، نقاط استقطاب للمخططين العسكريين والسياسيين في الولايات المتحدة ، في مساعاهم الدائم لحماية المصالح الغربية الحيوية هناك .

وقد عكست هذا الاهتمام القلق مجلة « سي باور » (القوة البحرية) التي تصدرها الرابطة البحرية الاميركية ، عندما اشارت الى « ان الخطوط العريضة التي تسترشد بها الاستراتيجية الاميركية في تلك المنطقة ، هي الان موضوع مراجعة ، وتحوز على كل الاهتمام الذي تستحق » .

ان احدى النتائج المباشرة لهذا الاهتمام الاميركي هو التعاون المتنامي في المسائل العسكرية والاستراتيجية ، بين الانظمة العسكرية القمعية في البرازيل ، والارجنتين وتشيلي ، وبين نظام التمييز العنصري الابيض في جنوب افريقيا . ورغم ان المحادثات السرية بينهم كانت قائمة منذ بداية السبعينات ، فان انهيار الاستعمار البرتغالي في افريقيا وانتصار الحركة الشعبية لتحرير انغولا قد حفز لاعادة تحالف القوى الغربية في المنطقة . والغرض من هذا التحالف النامي هو حماية المصالح الغربية الاستراتيجية والاقتصادية، وضمان استمرار السيطرة على طريق رأس الرجاء الصالح ، من حيث يمر معظم نفط الشرق الاوسط الى اوروبا الغربية والولايات المتحدة . وبما انه ليس في مصلحة الولايات المتحدة في الوقت الحاضر ان تشترك مباشرة وبصورة رسمية ، في تحالف عسكري مع عنصريي بريتوريا ، ولا تستطيع التدخل العسكري المباشر ، فان البديل الامثل بالنسبة للاستراتيجيين الاميركيين ، هو قيام حلف جنوبي الاطلسي (ناتو) على شاكلة حلف شمال الاطلسي (ناتو) لتحقيق هذه الاهداف الحيوية .

● مناورات بحرية

ولهذا الغرض اجتمع كبار العسكريين من الارجنتين والبرازيل والولايات المتحدة في القاعدة البحرية الارجنتينية ، في بورتوبير غانو ، بعد الاطاحة بالرئيس بيرون في سنة ١٩٧٦ .

طبعا كان التفسير الرسمي لذلك الاجتماع انه عقد من اجل التحضير لمناورات بحرية وللتنسيق في السياسة البحرية ، ولبحث المسألة العامة المتعلقة بامن جنوبي الاطلسي . لكن صحيفة « لاناسيون » الارجنتينية الموالية لحكم الجنرال فيديلا ، اعطت لمحة اكثر وضوحا حول اغراض المؤتمر . فقد كتبت تقول : « هناك ثلاثة بلدان فقط ، هم في ثقافتهم وتقاليدهم ، جزءا من العالم الغربي ، يمكنهم وضعهم الجغرافي من لعب دور هام في السيطرة على جنوبي الاطلسي وحمايته : الارجنتين ، البرازيل وجنوب افريقيا » (!)

وتلك الملاحظة لم تكن ابدا ، بعيدة عن الواقع . اذ لم تلبث ان وصلت بعثة عسكرية مشتركة برازيلية ـ ارجنتينية ، الى قاعدة سيمو نستاون البحرية في جنوب افريقيا لتخطيط مسائل نقل وانتشار القوات ، للتعاون العسكري المستقبلي .

ويرى المراقبون الافارقة ان احدى النتائج المباشرة للتحالف الجنوب اطلسي ، ستكون دمج جنوب افريقيا العنصرية داخل الحزام الدفاعي الغربي . كذلك يرى هؤلاء انه رغم دعوه ادارة كارتر الى احداث تغيير في افريقيا الجنوبية ، فانها قد تبنت فقط ، اسلوبا وطريقة تعاطي مع المشكلة، مختلفين لكن جوهر سياستها تجاه تلك المنطقة ، بقي كما كان خلال فترة تولي هنري كيسنجر وزارة الخارجية الاميركية . فقد كتب زبيغنيو بريجنسكي مستشار الرئيس كارتر لشؤون الامن القومي ، في مقال نشرته مجلة « فورين افيرز » الاميركية ، قال فيه : « لا يمكن ان يكون هناك امر مدمر للولايات المتحدة اكثر من ان تضع نفسها في موقع الدرع النهائي لبقايا التفوق الابيض في افريقيا ... » وهنا ، فان حلف جنوبي الاطلسي يعطي واشنطن الاداة التي تحتاجها لحماية مصالحها في عالم مرحلة ما بعد ـ فيتنام ، ان استخدام حلفاء محليين للقيام بدور الوكلاء المفوضين ينسجم تماما و « مبدأ نيكسون » .

● تقوية الحلقة الاضعف :

ان تحالفا مع حكومات اميركا اللاتينية يمكنه ان يساعد جنوب افريقيا في تقوية اضعف الحلقات في آلتها العسكرية ـ قواتها البحرية . فرغم عمليات تعزيز هذه القوات بمشتريات عسكرية من فرنسا واسرائيل ، الا ان القوة البحرية الجنوب افريقية لا تستطيع وحدها في المستقبل القريب ، توفير القوة اللازمة ، للسيطرة على الطرق البحرية . بينما لدى كل من البرازيل والارجنتين اساطيل ضخمة تشمل حاملات طائرات التي لا غنى عنها في مجابهات رئيسية .

لكن تحقيق علاقات عسكرية اوثق هي ناحية واحدة من اهداف بريتوريا في تحالف اطلسي جنوبي . فاميركا اللاتينية هي مصدر سوق مربحة (٣٠٠ مليون نسمة من السكان) عبر المحيط ، بالنسبة لجنوب افريقيا التي تسعى لكسر طوق عزلتها المتزايدة ، وحاجتها لاسواق جديدة ، من بعد فشل ما سمي في حينه بمبادرة « الوفاق والحوار » مع افريقيا السوداء ...

والتدشين الذي جرى في اوائل صيف عام ١٩٧٧ ، للخط الجوي الذي يربط بين بريتوريا وبونيس ايرس ، يشير الى مسعى الطرفين لزيادة التبادل التجاري القائم بين جنوب افريقيا واميركا اللاتينية . كذلك ابدت عدة بلدان اميركية لاتينية اخرى ، اهتماما في استقبال البيض من افريقيا الجنوبية ، خاصة من ناميبيا وروديسيا ، الذين قد لا يرغبون في مواصلة العيش في هذين البلدين ، عندما تستقلان .

ورغم ان للولايات المتحدة سيطرة احتكارية في البرازيل وفي الارجنتين ، الا ان هذين البلدين يسعيان لتخفيف اعتمادهم الشديد على المزودين الاميركيين ، وتنويع مصادر اليورانيوم الذي يستوردانه . ومن المعروف ان في جنوب افريقيا احدى اضخم احتياطي اليورانيوم في العالم . وتستطيع بريتوريا بالتالي ، استخدام « ورقة اليورانيوم » الهامة ، لشق طريقها الى اسواق اميركا اللاتينية بالشروط الملائمة . اكثر من ذلك ، فان التعاون النووي مع هذه البلدان يمكن ان يساعد الى حد كبير ، في خطط التطور النووي لبريتوريا بعد شرائها المفاعلين النوويين من فرنسا ، في سنة ١٩٧٦ . والمعروف ان لهذه البلدان الثلاثة قدرة تقنية على انتاج السلاح النووي .

● رأس جسر

ومشروع التحالف الجنوب اطلسي ليس مجرد مشروع مطروح كرياضة ذهنية لصانعي السياسة . فالعمل على انشاء هذا التحالف جار . ورغم الخلافات الصغيرة بين البرازيل والارجنتين على دور جنوب افريقيا في مثل هذه المنظمة العسكرية ، فان قائد القوات البحرية الجنوب افريقي ، جيمس جونسون ، شارك في المناورات البحرية الاميركية ، المشتركة (الشمالية والجنوبية) في سنة ١٩٧٦ . وكان المؤتمر البحري الاميركي الثامن ـ الذي عقد في ريودي جانيرو في صيف ١٩٧٦ ـ قد بحث في مسألة « رأس الجسر » الذي حققته الدول الموالية للمعسكر الاشتراكي ، اثر قيام حكم الحركة الشعبية (لتحرير انغولا) في انغولا ...

الرئيس كارتر يفتتح مؤتمر قمة حلف الاطلسي في واشنطن : دعوة الى تعزيز الحلف

ويستخدم دول اميركا اللاتينية المحكومة من اطغمة دائرة في فلك النفوذ الاميركي ، مستخدم المساعدات الكوبية للحركة الشعبية لتحرير انغولا المنتصرة . كحجة لتبرير زيادة انخراطها في شؤون افريقيا الجنوبية . ويتم تبرير المساعدات والدعم الديبلوماسي لنظام الحكم العنصري الابيض في جنوب افريقيا ، كامتداد « لنضال » هذه الانظمة ضد ما تسميه بـ « التخريب » الكوبي من اميركا اللاتينية الى افريقيا الجنوبية (!)

وخطورة مثل هذا الحلف الجنوب اطلسي النامي لا يقوت على القيادات الوطنية والتقدمية في افريقيا . وكانت لوأندا قد حذرت بواسطة مندوبها الى الامم المتحدة من قيام مثل هذا الحلف، مؤكدة بانه حلف عسكري عدواني موجه ضد شعوب افريقيا الجنوبية ، ويهدد السلام العالمي .

لقد عززت احداث زائير مؤقف تلك الجماعة الضاغطة في كواليس منظمة حلف الاطلسي التي طالما كانت تدعو وتلح على انشاء حلف جنوب الاطلسي وعدم الاكتفاء بعلاقات التعاون التي تربط بين جنوب افريقيا العنصرية وبين الدول الاعضاء في حلف شمال الاطلسي . بل ان موقف هذا التيار داخل المنظمة يتعزز ايضا امام « التسوية الداخلية » الكسيحة التي عقدها ايان سميث مع الزعماء التقليديين الافارقة الثلاثة ، في روديسيا ، وامام وصول مساعي التسوية الغربية لمشكلة استقلال ناميبيا الى الطريق المسدود . واذا كان ذلك ينعكس في العلاقات الوثيقة المستمرة بين جنوب افريقيا ودول حلف الاطلسي ، خاصة على الصعيد العسكري ، فان ذلك سيكون ايضا التمهيد لتشكيل حلف جنوب الاطلسي ، وتكون فيه بريتوريا هي القوة الاساسية فيه .

ان قطع الغيار العسكرية لا تزال تتدفق على جنوب افريقيا ، وايضا تقنية السلاح العالية المستوى . ويتم تبادل المعلومات الاستقصائية والعسكرية بين بريتوريا ودول حلف شمال الاطلسي . والجدير بالذكر ان نظام سيلفرماين للاتصالات البحرية ، في جنوب افريقيا يرتبط باتصال ثابت مع وزارة الخارجية البريطانية في وايتهول ، ومع بيونس آيرس وسان خوان . هذا ، بالاضافة الى كون بريتوريا تتلقى معلومات الاقمار الصناعية عبر منظمة حلف الاطلسي ، والى كون علاقاتها في المجال النووي وثيقة ، خاصة مع الولايات المتحدة والمانيا الغربية . ان هذه العلاقات الوثيقة تعكس عمليا ، حقيقة ان ارباب حلف شمال الاطلسي ينظرون ويتعاملون مع جنوب افريقيا العنصرية كشريك لهم وكجناح هام على طريق رأس الرجاء الصالح البحري ، ممر ناقلات النفط . وبناء القدرات العسكرية المستمر ، لتعزيز قوة جنوب افريقيا الى المستوى المطلوب لتكون حجر الزاوية في امتداد حلف شمال الاطلسي الى جنوب الاطلسي ، تمهيدا لتشكيل حلف عسكري مماثل .